السطحية لدى النصارى وآثارها على المجتمع المعاصر

د. فيصل محمد حسن

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وبعد:

فإن الإسلام قد أعلى شأن العقل، ورفع منزلته، حتى كان من القواعد الكلية الكبرى في الإسلام (حفظ العقل)، وقد خاطب الله تعالى بأدلة القرآن وأمثلته عقل الإنسان، وأمره بإعمال فكره فيها، وتدبرها.

فالعقل هو مناط تكليف الإنسان، وبه ميزه الله تعالى عن سائر الكائنات، والناظر في القرآن الكريم يدرك الفرق بين الدين الإسلامي المتوافق مع عقل الإنسان والذي يحثه على إعمال الفهم، وبين الأديان الأخرى التي احتوت على ما يناقض العقول وتأباه الفطر السليمة والنفوس السوية.

وعقيدة النصارى قبل أن يدخلها التحريف والتبديل لا شك أنها كانت ربانية متوافقة مع فطرة الإنسان، لكنها باختلاطها بالديانات الوثنية ودخول كثير من عقائد وشعائر هذه الديانات فيها أصبحت تتسم بالسطحية في التفكير (في بعض عقائدها وتشريعاتها، فتقبل هذه العقائد والشعائر بل وتؤمن أنها وحي من الله تعالى ودين تأخذ به دون تفكر وتدبر في حقيقة هذه العقائد والشعائر).

وقد سعيت من خلال هذا البحث لدراسة آفة فكرية لدى النصارى من خلال التأمل في نصوص الوحيين والكتاب المقدس لدى النصارى، وهي آفة السطحية في التفكير، وأقصد بالتفكير هو ما يتعلق بالدين النصراني وما يقرره على أتباعه وطريقة تعاطيهم معه، ومبيناً بعض مظاهر هذه السطحية عند النصارى وآثارها على المجتمع المعاصر، مستعيناً بالله تعالى راجياً توفيقه وعونه.

*** أهمية البحث**

تتجلى أهمية هذا البحث فيما يلي:

1. بيان مظهر من مظاهر الانحراف الفكري لدى النصارى، وكيف كشف القرآن الكريم عن أخطائهم.
2. تنزيه الشرائع الصحيحة عما لا يليق بها، وبيان أن الدين الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام أول مرة، لم يكن ينطوي على ما ألحق به من خرافات وأباطيل.
3. دعوة أتباع الدين النصراني إلى إعادة التفكير في بعض المسلمات التي عندهم، لعلهم يهتدون.
4. تجلية كمال الدين الإسلامي الذي جاءت عقائده وتشريعاته متسقة مع فطرة الإنسان.

*** مشكلة البحث**

تتمثل مشكلة البحث في الحاجة إلى كشف قدرة الدين النصراني على الإقناع بما فيه من معتقدات وعبادات، وبيان أن فيه عقائد وتشريعات لا يقبلها العقل السليم، وأن التسليم بها من شأنه توجيه الأتباع إلى طريقة سطحية في التفكير لا تتناسب مع الأديان المنزلة من عند الله، ومع ما أعطاه الله للإنسان من قدرة عقلية ينبغي أن تستثمر على وجهها الصحيح، وأن يكون محل عملها هو التفكر في الأديان، لا أن تقوم الأديان بكبتها.

*** منهج البحث:**

اعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي لدراسة نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية والكتاب المقدس لدى النصارى لبيان جوانب السطحية في التفكير لدى النصارى.

*** خطة البحث:**

المقدمة: وفيها: أهمية البحث، ومشكلته، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: وفيه التعريف بمفردات عنوان البحث.

المبحث الأول: تطبيقات آفة السطحية في التفكير لدى النصارى.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بالخرافات.

المطلب الثاني: ضعف الموازنة بين حاجات الروح وحاجات الجسد.

المطلب الثالث: تسطيح عقول الأتباع،وصرفهم عن معالي الأمور.

المبحث الثاني: دوافع آفة السطحية في التفكير لدى النصارى.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المصادر والمدخلات العقلية المضطربة.

المطلب الثاني: الدافع الديني.

المبحث الثالث: آثار آفة السطحية في التفكير لدى النصارى.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار آفة السطحية في التفكير لدى النصارى على المجتمع النصراني.

المطلب الثاني: آثار آفة السطحية في التفكير لدى النصارى على المجتمع المسلم.

التمهيد

السطحية:

أولاً: السطحية لغة:

أصل السطحية يرجع إلى مادة (سطح)، ومعناها: أعلى الشيء, قال ابن فارس: (السين والطاء والحاء أصل يدل على بسط الشيء ومده، من ذلك السطح معروف. وسطح كل شيء: أعلاه الممتد معه)[1]، وجاء في المعجم الوسيط, (ويقال تفكيره محدود سطحي ضيق الأفق)[2], وفي معجم اللغة العربية المعاصرة, (ضَحْل التَّفكير: تفكيره سطحيّ لا عُمْق فيه ولا حِكْمة)[3].

ثانياً: السطحية اصطلاحاً:

يعتبر مصطلح السطحية في التفكير من المصطلحات الحادثة الشائعة الاستخدام, ولم أقف على تعريف اصطلاحي في كتب التعريفات.وبالنظر إلى معناها اللغوي واستعمالها الشائع المتوافق مع المعنى اللغوي, يتبين أن المقصود بها:الوقوف في التفكير عند مقدمات الأمور دون التعمق في معانيها أو الإدراك لنتائجها.

النصارى:

لغة:اختلف في أصل هذه الكلمة على أقوال:

1. نسبة إلى قرية ناصرة في فلسطين, لنزول أتباع عيسى بها.
2. لنصرتهم عيسى–عليه السلام–.
3. جمع نَصْريّ.

(1) مقاييس اللغة, لابن فارس, (سطح), (72/3)

(2) المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية بالقاهرة, (161/1).

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة, المؤلف: د. أحمد مختار عمر (ت: 1424هـ), الناشر: دار عالم الكتب–الرياض, الطبعة الأولى–1429هـ, (1394/2).

4. جمع نصران كندمان, ويجمع على نصارى كندامى[1].

اصطلاحاً:هم أتباع عيسى[2].وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين, وأول ما نشأت هذه التسمية كان عام 42م, وكان يعتبر شتيمة بادئ الأمر, ثم شاع هذا الإطلاق بمعنيين[3]:

الأول: المقر بالديانة المسيحية.

الثاني: المؤمن الحقيقي.

وهذه التسمية خلاف ما جاء في القرآن والسنة, حيث جاءت تسمية المؤمن والكافر منهم بالنصارى, قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة: 62] وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[سورة المائدة:51]. وجاء في حديث عائشة وعبد الله بن عباس -رضي الله عنهم- قالا: ((لما نزل برسول الله ﷺ طَفِقَ يطْرح خُمِيصةً له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا)) [4].

ولهذا سألتزم بتسميتهم بالاسم الذي سماهم الله به, وإن كانت التسمية بالمسيحيين, لا حرج فيها شرعاً, وهو الذي أفتت به اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية[5].

---

(1) انظر, المحكم والمحيط الأعظم, المؤلف : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي, (ت: 458هـ), تحقيق: عبد الحميد هنداوي, الناشر : دار الكتب العلمية -بيروت, سنة النشر : 2000م, (301/8).

(2)انظر, دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية, سعود بن عبد العزيز الخلف, مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية, الطبعة: الرابعة، 1425هـ/2004م, ص (163- 164).

(3) انظر, قاموس الكتاب المقدس, تأليف نخبة من أصحاب الاختصاص ومن اللاهوتيين, دار الثقافة المسيحية- القاهرة، الطبعة الثانية, ص (889).

(4) صحيح البخاري,الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه, المؤلف: مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله, المحقق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر, الناشر: دار طوق النجاة, الطبعة: الأولى 1422هـ,كتاب أحاديث الأنبياء, باب ما ذكر عن بني إسرائيل, حديث (425) .

(5)انظر, الإسلام سؤال وجواب, (هل يصح تسمية النصارى بالمسيحيين), فتوى رقم (111878), https://islamqa.info/ar/111878 .

وأما عند نقلي عمّن يطلق لفظ (المسيحيين) أو (المسيحية) فسأنقله كما هو دون تعقيب, اعتماداً على هذا الأصل الذي ذكرته هنا.

المبحث الأول

تطبيقات آفة السطحية في التفكير لدى النصارى

المطلب الأول: الإيمان بالخرافات

توطئة:

لما تعرضت النصرانية للتحريف, وخالطها كثير من الفلسفيات الوثنية, دخل فيها كثير من المعتقدات الخرافية الكاذبة التي لا تمت إلى تاريخها بأي صلة, حتى أصبحت النصرانية مزيجاً من الخرافات اليونانية، والوثنية الرومانية، حتى تلاشت التعليمات النصرانية التي جاء بها عيسى عليه السلام ، وعادت نسيجاً بارداً من معتقدات وتقاليد لا تغذي الروح، ولا تمد العقل، ولا تشعل العاطفة، ولا تحل معضلات الحياة، ولا تنير السبيل، بل أصبحت بزيادات المحرفين، وتأويل الجاهلين تَحُولُ بين الإنسان والعلم والفكر، وأصبحت على تعاقب العصور ديانة وثنية.

وهذه الخرافات في النصرانية مثار سخرية واستهجان, فإن الذوق السليم يمجها, والعقل السليم يأباها, ومع ذلك ينسبونها إلى نبيهم وإلههم، ودينهم منها براء، (وهذه التفسيرات الخرافية التي قال بها رجال الكنيسة لا علاقة لها بالوحي الذي نزل على نبي الله عيسى، ولكنها كانت أحد الأساليب التي استذل بها رجال الكنيسة عقول السذج من الناس بدعوى أن الوحي نزل بها, وأنها دين وعقيدة)[1].

وسوف أذكر مثالين لتبيين بعض خرافاتهم.

أولاً: عقيدة الفداء.

يعتقد النصارى أن المسيح –عليه السلام– صُلب لتكفير خطيئة آدم ' حين أكل من الشجرة, وحمل هذه الخطيئة ذريته من بعده, حتى جاء المسيح ففداهم لتكفير هذه الخطيئة [2]. ويقولون في هذا: أن الله من صفاته المحبة، حتى لقد جاء في الكتب المقدسة عندهم: (الله محبة)[3] ومحبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم، لأن العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة، وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا

(1)الوحي والإنسان– قراءة معرفية, محمد السيد الجليند, ص(125).

(2)انظر, دراسات في الأديان, سعود الخلف, ص (320).

(3) رسالة يوحنا الرسول الأولى (4 : 8),(4: 16).

مبتعدٌ عن الله بسبب تلك الخطيئة، ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمته رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد، فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم ؛ ليخلص العالم...وبتوسط الابن الوحيد وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق قرب الناس من الرب بعد الابتعاد، وقد كان التكفير الذي قام به المسيح هو الصلب، لهذا صلب، ورضي الله عن صلبه، وهو ابنه، ودفن بعد الصلب، ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من قبره، ويقولون إنه كان قد أنبا بذلك قبل صلبه)[1].

وأدلتهم في هذه العقيدة ما يلي:

1. (أنا هو الراعي الصالح، الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف)[2].
2. (لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية)[3].
3. قول بولس (فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً: أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب)[4].

وأما دليلهم العقلي على الفداء فملخصه [5] أن آدم ، لما ارتكب الخطيئة بالأكل من الشجرة وأهبطه الله إلى الأرض. ثم انتقلت هذه الخطيئة بالوراثة إلى ذرية آدم من بعده, وكان آدم في الأصل يستحق الموت للتكفير عن هذه الخطيئة ولكن رحمة الله حالت دون وقوع العقوبة عليه, ولكن عدل الله يستلزم عقوبة آدم, فوقع التنازع بين الرحمة والعدل, وهذا يمنع من وقوع العقوبة على آدم. وذلك أن تكفير الخطيئة لابد أن يكون عن طريق الموت وإراقة الدم, وهذا يتعارض مع رحمة الله. ويشترط في الجسد الذي يكفر الله به عن خطيئة آدم وذريته أن يكون طاهراً من كل عيب, ويكون من المكانة بالقدر الذي يؤهله لأن يكفر عن خطايا جميع الناس. وهذه الصفات لا تتوفر في جسد إلا أن يكون إلهاً, ولكن الله لا جسد له. فلم يكن بدّ من أن يتخذ الله جسداً من أجساد الناس ثم تحل فيه روح الإله, فيتحد اللاهوت بالناسوت, وهذا ما حصل في المسيح, باعتباره (الله) ظهر في صورة الجسد, وتحقق في هذا الجسد إمكانية تحقق صفتي العدل والرحمة.

---

(1) محاضرات في النصرانية, لمحمد أبي زهرة (106-107).

(2) إنجيل يوحنا (10: 11).

(3) إنجيل يوحنا (3: 16).

(4) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (15: 3).

(5)انظر, الكنيسة: أسرارها وطقوسها, أ.د.عادل درويش, ص (611-635).

وكانت عقوبة الصلب هي العقوبة المناسبة مع بشاعتها شرعاً وعقلاً, وقد كانت في ذلك الزمان تعبّر عن لعنة الله لهذا المصلوب, جاء في رسائل بولس: (المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: «ملعون كل من علق على خشبة »)[1]. وهو خزي أيضاً, جاء في رسائل بولس قائلاً عن المسيح: (احتمل الصليب مستهيناً بالخزي)[2].

فلِمَ إذن كانت هذه العقوبة هي المناسبة؟ لأن المسيح أراد بالصلب أن يحمل كل اللعنات التي وقعت على البشرية, فاختار المسيح هذه الميتة المؤلمة ليتحمل كل الآلام التي كانت تستحقها البشرية.

ثم بعد صلبه دفن في القبر ثلاثة أيام, ذهبت خلالها روحه إلى جهنم؛ لأن أرواح الأبرار من لدن آدم إلى المسيح لم تخرج من جهنم إلا بعد قيام المسيح من قبره, ثم قام بعد ثلاثة أيام من موته واستمر أربعين يوماً ثم رفع إلى العرش ليجلس عن يمين الأب ويحاسب الخلق يوم القيامة.

وهذه العقيدة في أن المسيح صلب تكفيراً عن خطيئة أبيهم آدم بإجماع النصارى في الجملة, مع الاختلاف في بعض التفاصيل المتعلقة بالصلب تبعاً لتعدد الروايات وتحريف الكتب. فهذه الخطيئة لا يمكن أن تمحى عندهم إلا بعدة أمور:

1. أن يتجسد الإله في صورة بشر.
2. أن ينتحر ذلك الإله ويقتل نفسه, أو يعرضها للقتل.
3. أن يدخل نار جهنم ويعذبها عذاباً أليماً.
4. أن يصير ذلك الإله ملعوناً بذلك الصلب.

وبعد هذا العرض الموجز لأهم معتقدات النصارى, والتي قامت عليها كل العقائد الأخرى, وقبل مناقشتها, لابد من إيضاح بعض المقدمات[3]:

أولاً: إن الاستدلال بما جاء في الإنجيل قائم على افتراض صحة نقله وسلامته من التحريف, وقد سبق بيان ذلك.

(1) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية, (3: 13).

(2) رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين (12: 2).

(3)انظر, دراسات في الأديان, لسعود الخلف, ص (321-322)

ثانيًا: إن قصة الفداء وردت كثيراً في رسائل بولس, وهو لم يشاهد المسيح ولم يدركه, ولم يبين مصدره فيما رواه في قصة الفداء.

وبعد هاتين المقدمتين, هذه بعض الإيرادات الموجهة إلى خرافة الفداء على فرض ثبوتها:

1. ادعى النصارى أن صلب المسيح كان لتحقيق صفتي العدل والرحمة, فأي عدل في مؤاخذة المذنب بغير ذنبه, وأي رحمة في صلبه(1)
2. إذا كان المسيح ابن الله, فلمَ يضحّي بابنه الوحيد للتكفير عن عباده؟ ولم يجعله عرضة للبلاء والهوان من أعدائه اليهود وهو ابن الله؟
3. هل من الشرع والعقل أن يؤاخذ الأبناء بجريرة أبيهم؟ وأن يحاسبوا على ذنب لا جناية لهم فيه؟, وهذا أصل قد اتفقت الأديان عليه, دين مُحَمَّد وإبراهيم وموسى الذي هو أصل دين عيسى عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين-, يقول الله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [سورة النجم:36-41]، وفي سفر التثنية: (لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيته يقتل)(2)
4. إن خطيئة آدم لا تقارن بما يقترفه الناس من خطايا وكفر بالله, وعلى رأسهم اليهود – أعداء النصارى, والمتهمون بقتل المسيح- , فإذا كان التكفير عن خطيئة واحدة بهذا الحجم والقسوة, فكيف سيكون التكفير عن بقية خطايا الناس؟ ولماذا كان التكفير خاصاً بهذه الخطيئة دون غيرها؟
5. أين عدل الله ورحمته من لدن آدم وحتى مبعث عيسى؟ فكيف يظن بالله أن يؤخر العقوبة حتى يأتي عيسى!, وأين كان علم الله وحكمته تلك القرون كلها؟(3).
6. هل كانت هذه الخطيئة مجهولة عند الأنبياء السابقين لعيسى, ولم تكشفها إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب؟(4)
7. يرى النصارى أن المخلّص لهم من الخطيئة لابد أن يكون مطهراً من الخطيئة, ولهذا ولد عيسى من أم بلا أب. ويرد ههنا سؤال: أليس من الوارد أن نصيباً من الخطيئة انتقل إليه عن طريق أمه مريم؟

---

(1) انظر , المسيحية, لأحمد شلبي, ص (162).

(2) سفر التثنية (24: 16)

(3) انظر , المسيحية, لأحمد شلبي, ص (165).

(4) الإنجيل والصليب, المؤلف: عبد الأحد داود, كتاب منشور على الشبكة بلا معلومات طبع, ص (8).

ويجيبون أن الله طهّر مريم قبل أن تحمل بعيسى ـ عليهما السلام ـ. فيرد سؤال لا إجابة له عندهم: إذا كان الله يستطيع أن يطهر بعض خلقه بسهولة, فلمَ اضطرّ إلى أن ينزل ابنه وتحدث هذه القصة الطويلة؟[1]

8. هل كان الأنبياء قبل عيسى مدنسين بخطيئة أبيهم آدم؟ ولمَ اختارهم الله تعالى لهداية الناس؟[2]
9. هل اليهود الذين صَلبوا المسيح حصلوا على البراءة من الخطيئة أم لا؟ فإن كانوا حصلوا عليها, فكيف يكفَّر عنهم وهم القتلة المجرمون؟ وإن كانوا لم يحصلوا عليها, لزم من ذلك النقص في مهمة المسيح في الفداء.

إن دين النصارى المحرف لا ينهض لسد الثغرات التي أحدثتها هذه الخرافة المفتراة, (وحقيقة قولهم في الفداء هو: أنهم اخترعوا هذه الفرية وادعوها بدون دليل من شرع أو عقل حتى يبرروا قضية الصلب التي اعتقدوها وآمنوا بها، ويرفعوا عن المسيح تلك السبة الشنيعة التي تلحقه بالصلب وهي اللعن، فادعوا أن الصلب هو الشرف الحقيقي وهو الهدف الأسمى من رسالة المسيح، وأنه لولا الصلب ما جاء المسيح فأخذوا يدندنون حول هذا الأمر ويبحثون له عن الأوجه التي تجعله في حيز المقبول والمعقول)[3].

وحقيقة القول أن الفداء ليس إلا من النصرانية في شيء, وإنما استمده النصارى من الوثنية الهندية السابقة لهم بمئات السنين, إذ يعتقدون أن إلههم (كرشنا) المولود المبكر لإلههم (فشنو) قدم نفسه ذبيحة عن الإنسان؛ لتخليص الأرض من ذبيحة الإنسان, ويصورونه مصلوب اليدين والرجلين[4].

ثانياً: العشاء الرباني.

وهو من الأسرار السبعة عند النصارى ـ كما سبق بيانه ـ, وخلاصته أن من طقوسهم التعبدية أكل الخبز وشرب الخمر, وهذا يرمز إلى أن المؤمن يأكل جسد المسيح ويشرب دمه, فالخمر يشير إلى دم المسيح الذي سفك من أجل نجاة البشر, والخبز يشير إلى جسده الذي كسِر لهذا الغرض أيضاً[5].

وهم يستدلون له بما جاء في الإنجيل من نصوص تدل عليه, ومنها:

(1)انظر, المسيحية, لأحمد شلبي, ص (166).
(2)انظر, المرجع نفسه, ص (166).
(3)دراسات في الأديان, سعود الخلف (323).
(4)انظر, المسيحية, لأحمد شلبي, ص (167).
(5)انظر, الكنيسة أسرارها وطقوسها, لعادل درويش, ص (280).

1. ولما كان المساء اتكأ مع الاثني عشر (21) وفيما هم يأكلون قال : الحق أقول لكم: إن واحداً منكم يسلمني (22) فحزنوا جداً، وابتدأ كل واحد منهم يقول له: هل أنا هو يا رب (23) فأجاب وقال: الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني (24) إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه، ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد (25) فأجاب يهوذا مسلمه وقال: هل أنا هو يا سيدي؟ قال له: أنت قلت (26) وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا. هذا هو جسدي (27) وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم (28) لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا (29) وأقول لكم: إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدا في ملكوت أبي)[1]

2. (17)ثم تناول كأساً وشكر وقال: خذوا هذه واقتسموها بينكم (18) لأني أقول لكم: إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله (19) وأخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً: هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري (20) وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم)[2].

وهم يعتقدون بذلك أنهم يأكلون لحم المسيح ويشربون دمه, ويقولون (لأنه برسم الخبز يعطي لك الجسد, وبرسم الخمر يعطي لك الدم, لكي بتناولك [كذا!] من جسد المسيح ودمه تصير متحداً معه جسداً ودماً, لأننا بهذه الحالة نصير لابسي المسيح, أي: بامتزاج جسده ودمه في أعضائنا, وبهذه الواسطة نصير مشاركي الطبيعة الإلهية كما يقول بطرس المغبوط. فلا تنظر إذن إلى الخبز والخمر كأنهما عاديّان, إذ هما جسد ودم حسب القول السيدي. لأنهما وإن كان الحس يظهرهما لك عاديين, لكن الإيمان يحقق لك أنهما جسد ودم, فلا تحكم إذن بحسب الذوق الحسي, بل تحقق من الإيمان وتأكد بلا ارتياب أنك قد أُهّلت لجسد المسيح ودمه)[3].

وهذا الأكل حقيقي لا رمزي, أي أن الخبز والخمر يستحيلان إلى جسد المسيح حقيقة,. وعلى هذا فمن أكل من العشاء الرباني فكأنه أكل المسيح ذاته, وكلهم يتحد بالمسيح بهذا العشاء [4]. ويرفض

(1)إنجيل متى (26: 20-29).

(2)إنجيل لوقا (22: 17-20).

(3)أسرار الكنيسة السبعة, المؤلف: حبيب جرجس,- مدير الكلية الأكليريكية للأقباط الأرثوذكس سابقاً, الناشر: مكتبة المحبة بالقاهرة, الطبعة الرابعة, ص(65).

(4)انظر, المرجع نفسه, الصفحة نفسها.

جمهور الكنائس (الأرثوذكسية والكاثوليكية) دعوى أن الخبز والخمر ليسا إلا رمزين لجسد المسيح ودمه وأنهما لا يستحيلان استحالة حقيقية, ولهم في ذلك ردود يطول ذكرها, ولا طائل من إيرادها هنا[1].

ويعتبر العشاء الرباني من أسرار الكنيسة السبعة عند جمهور النصارى إلا البروتساتنت فيعتبر عندهم من الفرائض لا الأسرار, إذ لا يعترفون بمبدأ الأسرار [2]. ويؤدى هذا القربان كل أحد في الكنائس الأرثوذكسية و الكاثوليكية, وأما البروتستانتية فيقيمونه حسب حاجة الناس وليس له وقت محدد[3].

هذا مجمل ما يتعلق بالعشاء الرباني, وأما التفاصيل المتعلقة بنوع الخبز, والشراب, وصفة تناولهما, ومن الذي يقدمهما للناس, فهذا مما اختلفت فيه الكنائس, بل هو مما يختلف فيه أتباع المذهب الواحد من زمن إلى آخر[4].

وهنا بعض الإيرادات التي ترد على العشاء الرباني ـ على فرض صحته وثبوته ـ :

1. إذا استحال الخبز (مسيحاً كاملاً حياً بلاهوته وناسوته الذي أخذه من مريم، فلا بد أن يشاهد فيه عوارض الجسم الإنساني ويوجد فيه الجلد والعظام والدم وغيرها من الأعضاء لكنها لا توجد فيه بل جميع عوارض الخبز باقية الآن كما كانت فإذا نظره أحد أو لمسه أو ذاقه لا يحس شيئاً غير الخبز، وإذا حفظه يطرأ عليه الفساد الذي يطرأ على الخبز لا الفساد الذي يطرأ على الجسم الإنساني، فلو ثبتت الاستحالة تكون استحالة المسيح خبزاً لا استحالة الخبز مسيحاً، فلو قالوا إن المسيح استحال خبزاً لكان أقل بعداً من هذا، وإن كان هو أيضاً باطلاً ومصادماً للبداهة)[5].

2. كيف يمكن أن يحضر المسيح بلاهوته وناسوته في أمكنة متعددة في آن واحد؟ وهو الذي كان قبل صلبه لا يستطيع أن يحضر في أكثر من مكان في آن واحد[6].

---

(1)انظر, أسرار الكنيسة السبعة, لحبيب جرجس ص (70), وانظر سلسلة شرح القداس الإلهي, حلقة (18) شرح القداس, الجزء التأسيسي, رشومات الجسد, على موقع اليوتيوب https://www.youtube.com/watch?v=Eo9McoG9fpA و السؤال الموجه إلى البابا شنودة الثالث في مقطع بعنوان (هل التناول هو رمز ام جسد ودم حقيقي للسيد المسيح † سؤال للبابا شنوده الثالث † 1993 https://www.youtube.com/watch?v=lS3vsXpuSh4) .

(2)انظر, الكنيسة أسرارها وطقوسها, لعادل درويش ص (301).

(3)انظر, المرجع نفسه, ص (305).

(4)انظر, المرجع نفسه, ص (293-299).

(5)إظهار الحق, للهندي (705/3).

(6)انظر, إظهار الحق, للهندي (706/3).

3. (إذا استحال الخبز مسيحاً كاملاً تحت يد الكاهن فكسر هذا الكاهن هذا الخبز كسرات كثيرة وأجزاء صغيرة فلا يخلوا إمّا أن يتقطع المسيح قطعة قطعة على عدد الكسرات والأجزاء أو يستحيل كل كسرة وجزء مسيحاً كاملاً أيضاً فعلى الأول لا يكون المتناول متناول مسيح كامل، وعلى الثاني من أين جاءت هؤلاء المسحاء لأنه ما حصل بالتقدمة إلا المسيح الواحد؟)[1].

4. إن أكل النصارى لجسد ربهم وشربهم لدمه يلزم منه أن يكونوا شراً من اليهود, فاليهود اكتفوا بمجرد صلبه, ولم يأكلوا من لحمه. وهؤلاء يأكلون جسده ويشربون دمه, ويجعلون ذلك قربة من القربات. فإذا كان الذي ذبحه مرة واحدة كافراً وملعوناً, فكيف يكون حال من يأكل جسده ويشرب دمه دائماً؟[2].

5. هل من العقل أن يدعي أحد أنه يأكل ربه, وهو مع ذلك إلهه ومعبوده الذي يدعي تعظيمه صباح مساء؟

إن هذه المقولة التي قالها النصارى في العشاء الرباني مخالفة للحس والعقل والشرع, أما مخالفتها للحس والعقل فلما سبق ذكره من إيرادات. وأما مخالفتها للشرع فلما يلي:

1. يدعي النصارى أن العشاء الرباني شرعه لهم المسيح قبل ذهابه إلى الصلب بيوم واحد, ويشكل على هذا أن الروايات التي جاءت في الأناجيل متناقضة في تفاصيل قصة العشاء الأخير الذي اجتمع فيه عيسى ــ عليه السلام ـ مع أتباعه وأكلوا الخبز وشربوا الخمر على رواية متى!, بينما لم يرد في إنجيل يوحنا ذكر للخمر[3].

2. أنهم يسجدون للخبز حيث يدعون استحالته إلى جسد المسيح[4], والسجود محرم في شريعتهم شريعتهم (للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد)[5].

3. أن شرب الخمر محرم في النصرانية, ومما جاء فيها (و لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح)[6], فكيف يجوز شربها على نبي من أنبياء الله, بل إنه ' لم يثبت في كتبهم أنه شربها, بل

(1)إظهار الحق, للهندي (706/3).
(2)إظهار الحق, للهندي (707/3).
(3)انظر, الكنيسة: أسرارها وطقوسها, ص (309-310).
(4)انظر, الكنيسة: أسرارها وطقوسها, ص (311).
(5)إنجيل لوقا (4: 8), وإنجيل متى (4: 10).
(6) رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس (5: 18).

جاء عكس ذلك, حيث نفى المسيح عن نفسه شربها فقال: (لأني أقول لكم إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتي يأتي ملكوت الله)[1].

4. أن المسيح ـ عليه السلام ـ لم يأمرهم أن يأكلوا لحمه أو يشربوا دمه [2], بل لا يمكن التصور بأن هذا يأمر به أحد من عقلاء البشر, فضلاً عن أنبيائهم.

إن حقيقة العشاء الرباني الذي يعظمه النصارى ليس إلَّا شعيرة أكل الإله التي لا تعرف إلاَّ في الديانات الوثنية السابقة, (وبهذه الطريقة تعظم الحضارة الأوروبية والأمريكية اليوم شعيرة من أقدم الشعائر في الأديان البدائية , وهي أكل الإله)[3], وهي مأخوذة عن الديانات المصرية والفارسية القديمة[4].

المطلب الثاني: ضعف الموازنة بين حاجات الروح وحاجات الجسد

اضطربت النصرانية في الموازنة بين حاجات الروح وحاجات الجسد، وهذا من شأنه التأثير على قدرة الإنسان على تحقيق مستوى مقبول من التدين، وذلك أن الروح أو الجسد إن اختلت مطالبهما عاد ذلك على الإنسان بانحرافات في سلوكه، وأخلاقه، وعلاقاته، وغير ذلك.

وسأذكر مثالين يبينان هذا الضعف الذي أحدثته الكنيسة:

المثال الأول:الرهبانية

وهي (سلوك بعض رجال الدين النصارى باعتزالهم وبعدهم عن قومهم والاعتكاف في الصوامع يعتبدون فيها عزوفاً عن الدنيا وشهوتها محرمين على أنفسهم الزواج والاختلاط بالنساء), وسبب ذلك أن النصارى كانوا مضطهدين أيام النشأة الأولى لدينهم في القرون الثلاثة الأولى, فلما جاء بعد ذلك زمن التمكين أراد الذين لم يضحوا بنفوسهم وأموالهم في عهد الاضطهاد أن يضحوا بمتَعهم إذ فاتهم أن يضحوا

(1)إنجيل لوقا (22:18), وإنجيل متى (26: 29).

(2) انظر,الأسرار الكنسية, لعادل درويش, ص (313).

(3) قصة الحضارة, ول ديورانت (20/16).

(4)ا نظر,الأسرار الكنسية, لعادل درويش, ص (317).

بدمائهم, فخرجوا إلى الجبال, واعتزلوا الناس, وعذبوا أجسادهم بالجوع والعطش وخشن الثياب, وتركوا الزواج وانقطعوا إلى العبادة[1].

ونشأت على مرحلتين[2]:

الأولى: اعتزال الرهبان للناس بالخروج إلى الكهوف والتعبد فيها.

الثانية: تعبد جماعات الرهبان بعد أن كثروا في صوامع مجاورة لبعضها محاطة بأسوار عالية؛ لحمايتهم من اللصوص, سميت فيما بعد بالأديِرَة.

ويزعمون أن الرهبنة كانت استجابة لتعاليم المسيح لما جاءه شاب فسأله عن العمل الصالح فذكر له جملة من الوصايا ثم: ((21) قال له يسوع: إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني (22) فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزيناً، لأنه كان ذا أموال كثيرة (23) فقال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم: إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السماوات (24) وأقول لكم أيضاً: إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله (25) فلما سمع تلاميذه بهتوا جداً قائلين: إذاً من يستطيع أن يخلص ؟ (26) فنظر إليهم يسوع وقال لهم: هذا عند الناس غير مستطاع، ولكن عند الله كل شيء مستطاع (27) فأجاب بطرس حينئذ وقال له: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك. فماذا يكون لنا ؟ (28) فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتموني، في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر (29) وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخواتٍ أو أباً أو أماً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي، يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية (30) ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين، وآخرون أولين)[3].

بينما حقيقة الأمر أنهم ابتدعوها, ولم تعرف إلا في القرن الثالث الميلادي [4], ثم أوجدوا لها من النصوص ما يؤيد دعواهم, يقول د. أحمد شلبي: (والباحث في مقارنة الأديان يجد أن المسيحيين في تصرفاتهم هذه اتبعوا المنهج الهندي دون تحريف, فالترهب والتبتل وتعذيب الجسم... هي سياسة الهندوسية

(1) انظر, المسيحية: أحمد شلبي, ص (244).
(2) انظر, المسيحية: أحمد شلبي, ص (244-245).
(3) إنجيل متى (19: 16-30)
(4) الكنيسة, أسرارها وطقوسها, عادل درويش, ص (482-483).

والبوذية)[1].

ولما توسعت الرهبانية في القرن الرابع الميلادي وكثر أتباعها, جعلوا لهم أسس وتنظيمات للالتحاق بسلك الرهبان, على عادتهم في الولع بالماديات والتنظيمات, وجعلوا شروطاً لقبول الرهبان, وجعلوا للرهبانية عدة مبادئ[2] يجب الالتزام بها:

1. العفة, أي العزوبة وترك الزواج.
2. الفقر.
3. الطاعة.
4. العزلة.

وبدأ الرهبان صادقين فيما التزموا به, فاعتزلوا الناس وتفرغوا للعبادة وانقطعوا عن ملاذ الدنيا وشهواتها, ثم لم يصمدوا طويلاً فانقلبت موازينهم, وصاروا يسرفون في تلبية شهوات الجسد تحت غطاء الرهبنة, وسبب ذلك أن الرهبانية ((حاولت عبثاً تغيير الفطرة وإزالتها وجاءت بنظام لا تطيقه الفطرة الإنسانية ولا تسيغه. وحملت النفوس ما لا طاقة لها به فرغبت فيه كرد فعل ضد المادية الطاغية واحتملته كارهة، ثم تخلصت منه وثارت عليه ولم تقدر النصرانية – بإسرافها في الرهبانية والزهد ومكابرتها للفطرة والواقع أن تصلح ما فسد من أخلاق الناس وعوائدهم، وتمسك بضبع المدينة الساقطة إلى الهاوية وتمنعها من التردي. فكانت حركة الفجور والإباحة وحركة الغلو في الزهد))[3], وبهذا انتقلت الرهبانية إلى الجهة المناقضة لغايتها, وتحولت إلى المادية المفرطة, وكستها لحاءَ الشريعة. وصدق الله إذ يقول: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[سورة الحديد:27]

وهذا الحرمان الذي فعلوه فيه مصادمة للفطرة الإنسانية، فإن النفوس قد خُلقت لتعمل لا لتترك)[4]، وإن الأنبياء قد بعثوا بتكميل الفطرة وتكريرها لا بتبديلها وتغييرها.

---

(1) المسيحية, أحمد شلبي, ص (246).

(2)انظر, الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها, المؤلف: أ.د.أحمد علي عجيبة, الناشر: دار الآفاق العربية– القاهرة, الطبعة الأولى– 2004م, ص (88).

(3)ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين, الندوي, ص (153).

(4)اقتضاء الصراط المستقيم, لابن تيمية، (125/2).

وبهذا انتقلوا من تطرف إلى تطرف, وهذا شأن من يغالب الفطرة, ويبتعد عن الوحي, فجاءت هذه الدعوة بنقيض قصدها, وأصبحت عاراً على النصرانية بما اقترفته من عصيان.

المثال الثاني:العناية بالظواهر المادية في الكنائس مع إهمال العبادة

تعتبر الكنيسة عند النصارى هي المرجع في الدين كله فهماً وتطبيقاً, إذ يعتمد الناس على فهم الكنيسة وأوامرها, ويؤدون عبادتهم فيها. وهذه فكرة حادثة في تاريخ النصارى لم تكن عليها دعوة المسيح من قبل. حيث لا يوجد في تاريخ النصرانية ذكر للكنيسة, ولم تذكر في القرآن ولا الإنجيل.

ولم يكن للكنيسة ذكر في دعوة المسيح ـ عليه السلام ـ, ولا حواريه بل مضى القرنان الأول والثاني دون أي ذكر لها ولم تعرف إلا بعد الاحتكاك بالرومان في القرن الثالث الهجري [1]. حيث كانوا طيلة تلك الفترة (مستترين مُخافين في حياته وبعده يدعون إلى دينه سراً ولا يكشف أحد منهم وجهه إلى الدعاء إلى ملته ولا يظهر دينه وكل من ظفر به منهم قُتل إما بالحجارة .... و إما صُلب .... أو قُتلوا بالسيف ..... أو بالسم .... فبقوا على هذه الحالة لا يظهرون البتة , ولا لهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح)[2] .

إلا أن النصارى يدّعون أن أول من أنشأ الكنيسة هم تلامذة المسيح بأمر من المسيح نفسه, وهذا الادعاء ساقط بشهادة المؤرخين من المسلمين والنصارى, فإنهم قد اتفقوا على أنهم كانوا مضطهدين ومتفرقين في البلاد, فمتى أنشأوا الكنائس مادامت حالهم كذلك[3].

وأول ما عرف هذا المصطلح عندهم كان يقصد به جماعة المؤمنين بالمسيح, وليس هذا البناء المعهود. بل أطلق على المؤمنين أنفسهم لما كونوا جماعة لنشر تعاليم المسيح, فأطلق عليها النصارى فيما بعد كنيسة المسيح, ومن ثم انتشرت جماعات أخرى في البلدان أطلق عليها ذات الاسم, ومن مجموع الكنائس الخاصة تكونت الكنيسة الواحدة الجامعة لهؤلاء المؤمنين[4].

وحقيقة القول إن بناء الكنائس جاء بعد أن اعتنق قسطنطين النصرانية فمكّنهم من بناء الكنائس, بعد أن كانوا يجتمعون سراً في البيوت, فبنيت على النمطين اليوناني الشرقي والروماني الغربي ذات قباب

(1)المسيحية, نشأتها وتطورها, شارل جنيبير, ص (42).

(2)الفصل في الملل والأهواء والنحل, المؤلف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري, الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة, (2/3-4).

(3)الكنيسة, أسرارها وطقوسها, عادل درويش, ص (50, 52).

(4)انظر:المصدر نفسه, ص (45).

وزخارف. وبعد دخول دولة قسطنطين في النصرانية قام النصارى بشراء المعابد الوثنية وجعلوها كنائس[1].

وروعي في بناء الكنيسة أن تكون على قسمين[2]:

1. محل وقوف الشعب: وهو المكان الذي يجتمع فيه العامة للصلوات, والوعظ, والتعليم, وفيه قسم محجوز بحواجز خشبية لأداء الأسرار الكنسية مثل المعمودية ومسحة المرضى.
2. الهيكل: وفيه المذبح الذي تقدس عليه القرابين.

والكنائس كلها متجهة إلى الشرق الذي أشرق منه المسيح[3].

وانتشر بناء هذه الكنائس من ذلك وتوالى إنتشارها إلى هذا الزمان, وغزَوا بها البلدان الإسلامية, مع أنهم لا مستند صحيح لهم في شرعيتها, وأنفقوا الأموال الطائلة في بنائها وزخرفتها, ليبهروا بها غير النصارى, فيكون ذلك من أسباب دخولهم في النصرانية[4].

وانصرفت النصرانية عن الأسباب الحقيقية التي جاءت بها شريعة المسيح من الإيمان والزهد إلى الاهتمام بالمظاهر والشكليات في كل شؤونها, وانحرف تفكيرهم عن الاهتمام بحقيقة الإيمان إلى الاهتمام بزخرف الدنيا, ومن كانت حاله كذلك فإنه لا يزال يتردى في أودية الجهالة, وفي أمثال هؤلاء يقول الله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[سورة الروم:6-7]، (أي: لا يعلمون بواطن الأشياء وعواقبها. وإنما ﴿يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فينظرون إلى الأسباب ويجزمون بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعقدت أسباب وجوده ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده شيئاً، فهم واقفون مع الأسباب غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها . ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها فعملت لها وسعت وأقبلت بها وأدبرت وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها ولا النار تخافها وتخشاها ولا المقام بين يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة.

---

(1)انظر, الكنيسة أسرارها وطقوسها: عادل درويش, ص (55-56).

(2)انظر, المرجع نفسه, ص (56-57).

(3)انظر, المرجع نفسه, ص (57).

(4)انظر, المرجع نفسه, ص (57-58, 64).

ومن العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب , وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا وأعجبوا بعقولهم ورأوا غيرهم عاجزا عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم وأشدهم غفلة عن آخرتهم وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رآهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون وفي ضلالهم يعمهون وفي باطلهم يترددون نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)[1].

فالانشغال بالظواهر المادية عن حقائق الإيمان, لا يجدي على أصحابه شيئاً. ولكن لما كان دينهم يحمل ما يحمل من العجائب, اتَّكؤوا على عصا المادية, يسدون بها ثغراته. وعمدوا إلى شهوات الجسد, ليغنوا بها الناس عن حاجات الروح. ولهذا ينفر أصحاب العقول السليمة من النصارى من الذهاب إلى الكنيسة باحثين عن الحقيقة التي تروي حاجاتهم الفطرية في التدين, فأصبحت الكنائس في هذا الزمان رغم كثرتها وزخرفها تعاني من قلة الزوار, فعلى سبيل المثال [2]: تعاني الكنائس المصرية من عزوف الشباب عنها مما دفع البابا تواضروس ــ رئيس الكنائس الأرثوذكسية المصرية ــ إلى تدشين مشروع بعنوان «تراث كنيستنا، روح وحياة» لاستعادة الشباب إلى الكنائس. وقامت الكنائس المصرية بإعداد دراسة عن الشباب العازفين عن الكنيسة فخلصوا إلى نتائج مفادها أن من أسباب عزوف الشباب عن الكنائس:

1. سطحية العبادة والمناداة بشعارات لا نطبقها في الحياة، إلى جانب عدم الاستماع إلى الشباب وإرضاخهم لقوانين الكنيسة دون الالتفات لآرائهم.
2. ثقافة الشه وة داخل الكنائس، وخفوت الجانب الروح ي، واقتصر دور الكنيسة على الإنتاجات المسرحية.
3. جمود الفكر وديكتاتوريته داخل الكنائس وسوء اختيار القيادات داخل الكنائس، والتي تمثل رمزًا يجب أن يحتذى به أسهم في جعل الشباب ينفرون من الكنيسة.

(1)تيسير الكريم الرحمن, للسعدي, ص (636).

(2)انظر, جريدة الصباح المصرية, جريدة إلكترونية, تقرير بعنوان («المكتفين».. تفاصيل تقرير عن عزوف الشباب عن الكنيسة), بتاريخ 27 مارس 2017. الرابط: http://www.elsaba7.com/NewsDtl.aspx?Id=175058.

المطلب الثالث: تسطيح عقول الأتباع وصرفهم عن معالي الأمور

من شأن صاحب الحق أن يكون على يقين بأن ما هو عليه من المبادئ لا يضره قلة الأتباع, ولا يخشى نقد أحد؛ شامخاً بما عنده لا يضره من خالفه. ولذلك لما كان القرآن الكريم أصحَ الكتب في الوجود, وأحكمها نظاماً, وأصدقها كلاماً, جاء التحدي فيه مراراً للإنس والجن أن يأتوا بمثله, فضلاً عن أن يأتوا بأحسن منه.

وجاء هذا التحدي على وجوه متعددة, فتارة يثبت عصمته ويبين أنه لا شك فيه ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [سورة البقرة: 2]، فلا شك فيه (بوجه من الوجوه، ونفي الريب عنه، يستلزم ضده، إذ ضد الريب والشك اليقين، فهذا الكتاب مشتمل على علم اليقين المزيل للشك والريب، وهذه قاعدة مفيدة، أن النفي المقصود به المدح، لا بد أن يكون متضمناً لضده، وهو الكمال، لأن النفي عدم، والعدم المحض، لا مدح فيه .)[1]. ومن فوائد هذا النفي أنه (يفيد التعريض بما بين يدي أهل الكتاب يومئذ من الكتب فإنها قد اضطربت أقوالها وتخالفت لما اعتراها من التحريف)[2].

وتارة يدعو الناس إن اعترتهم ريبة في أنه من عند الله أن يأتوا بسورة واحدة مثله, قال تعالى :﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة البقرة:23]. (وهذا دليل عقلي على صدق رسول الله ﷺ، وصحة ما جاء به، فقال: {وَإِن كُنتُمۡ} معشر المعاندين للرسول، الرادين دعوته، الزاعمين كذبه في شك واشتباه، مما نزلنا على عبدنا، هل هو حق أو غيره؟ فهاهنا أمر نصَفٌ، فيه الفيصل بينكم وبينه، وهو أنه بشر مثلكم، ليس بأفصحكم ولا بأعلمكم وأنتم تعرفونه منذ نشأ بينكم، لا يكتب ولا يقرأ، فأتاكم بكتاب زعم أنه من عند الله، وقلتم أنتم أنه تقوَّله وافتراه، فإن كان الأمر كما تقولون، فأتوا بسورة من مثله، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم وشهدائكم، فإن هذا أمر يسير عليكم، خصوصاً وأنتم أهل الفصاحة والخطابة، والعداوة العظيمة للرسول، فإن جئتم بسورة من مثله، فهو كما زعمتم، وإن لم تأتوا بسورة من مثله وعجزتم غاية العجز، ولن تأتوا بسورة من مثله، ...، فهذا آية كبرى، ودليل واضح جلي على صدقه وصدق ما جاء به، فيتعين عليكم اتباعه، واتقاء النار التي بلغت في الحرارة العظيمة والشدة ، أن كانت وقودها الناس والحجارة، ليست كنار الدنيا التي إنما تتقد بالحطب، وهذه النار الموصوفة معدة

(1)تيسير الكريم الرحمن, للسعدي, ص (40).

(2)التحرير والتنوير, لابن عاشور, (224/1).

ومهيأة للكافرين بالله ورسله. فاحذروا الكفر برسوله، بعد ما تبين لكم أنه رسول الله. وهذه الآية ونحوها يسمونها آيات التحدي، وهو تعجيز الخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن)[1]

كقوله في تحدي الجن والإنس : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء:88]، وأمر بتدبر كتابه, وكشف غوامضه, وأخبرهم أنهم لن يجدوا فيه وجهاً من وجوه الاختلاف بين ألفاظه أو أخباره أو أحكامه أو جزالته , كل ذلك منزه عنه القرآن غاية التنزه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء:82].

فكيف كان شأن النصارى فيما يزعمون أنه حق وهداية؟ ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة البقرة: 135].هل كانت دعوتهم إلى النصرانية تعطي الحق لأتباعها أن يبحثوا عن كل الحقائق التي فيها, وأن يفتشوا عن غوامضها, وهل كانت تملك الجرأة العلمية لقبول النقد؟! كلا, لم يكن شيء من ذلك. أما الكتاب الذي هو مصدر العلم والتشريعات, فهو مكتوب بلغة غير اللغة التي يتحدثون بها. وهم مع ذلك حرام عليهم أن يحاولوا تفسير ما فيه, فالتفسير حق محتكر لرجال الدين[2].

فإذا كان الأمر كذلك, لم يبق مصدر للدين إلا رجال الدين أنفسهم ليأخذ الناس عنهم, فهل كانوا على قدر من الأمانة؛ ليبلغوا الناس بكل ما وصلوا إليه من علم؟ كلا, وإنما حالهم كما أخبر الله عنهم ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [سورة آل عمران: 187]، ((الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه الله الكتب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله .... فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله، ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق، وخوفاً من إثم الكتمان.

وأما الذين أوتوا الكتاب، من اليهود والنصارى ومن شابههم، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبؤوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، وتجرؤا على محارم الله، وتهاونا بحقوق هـ، وحقوق الخلق،

(1)تيسير الكريم الرحمن, للسعدي, ص(44).

(2)انظر, محاضرات في النصرانية, لأبي زهرة, ص(170).

واشتروا بذلك الكتمان ثمنا قليلا وهو ما يحصل لهم إن حصل من بعض الرياسات، والأموال الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين شهواتهم على الحق)[1].

والعجب أن الكنيسة لم تكتف باحتكار فهم الدين, بل جمعت إلى ذلك إقصاء العقول عن التفكر في ميادين الحياة الدنيا. ولا أعني بهذا ما حصل أيام القرون الوسطى, بل ما يحصل في واقعنا المعاصر من الإبقاء على الجماهير الأفريقية التابعة للكنيسة ساذجةً ليس لها حق التطور في الدين ولا الدنيا, وإنما تبقى خاضعة لسلطان الكنيسة في كل مجالاتها, ليتسلطوا بذلك على الدول النامية فينهبوا خيراتها ومقدراتها, (فإذا كانت الكنيسة في الغرب تقر مبدأ فصل الدين عن الدولة, فإنها لا تقر ذلك بالنسبة لبلاد الشرق, ليظل كلام الكنيسة سيفاً مصلتاً على الرقاب, وإذا كانت الكنيسة في الغرب تبارك التصنيع, فإنها تعارضه في الشرق, لأن العامل ــ في زعمها ــ يعتبر نفسه خالقاً, وهذا يتنافى مع الإيمان واعتبار الإنسان مخلوقاً.

وترى الكنيسة أن الثروة التي ستعود على البلاد بالتصنيع, ستجلب الشر على المسيحيين بالبلاد النامية, لأن ارتفاع مستوى المعيشة تصحبه كثرة الخطايا والشرور!. وترى الكنيسة أن التقدم لن يتم إلا بالتضحية بالتراث والتقاليد الموروثة, ولهذا فهي تقرر أن الاحتفاظ بالتراث والتقاليد خير من التقدم الاقتصادي...)[2].

وهكذا تمارس الكنيسة هذا التضليل للناس حتى يبقوا أسرى للأوهام والخرافات, فإنهم إذا حصلت لهم قوة معرفية, فإن عقولهم ستقودهم إلى نبذ النصرانية, والتخلص من أغلالها.

المبحث الثاني

دوافع آفة السطحية في التفكير لدى النصارى

المطلب الأول: المصادر والمدخلات العقلية المضطربة

تفتقر النصرانية إلى القواعد العقلية السليمة في بنائها العقدي والتعبدي, ولذلك تخلو من عوامل الجذب التي تدعو الناس إلى اتباعها, فإنها تحتوي على كثير من التناقضات والخرافات التي تأباها العقول

(1)تيسير الكريم الرحمن, للسعدي, ص(160), بتصرف.
(2) المسيحية, أحمد شلبي, ص(189).

السليمة. ولذلك ركّزت في دعوتها المحرفة على الجانب العاطفي, وأقصت الجانب العقلي إقصاء كبيراً؛ لأن دينهم لا ينهض أمام الحجاج العقلي, ولهذا تجدهم في أضعف حالاتهم عند المناظرات [1].
فلما كان العقل مناقضاً تمام المناقضة للسطحية, صرفوا الناس عنه بعدة أوجه:

1. منعهم من تفهم معاني الكتاب المقدس.
2. تسمية بعض العبادات بالأسرار, ليسدوا الباب في وجه من يحاول فهمها, ولهذا كان تعريف السر عندهم: (حقيقة روحية عميقة لا يقدر إنسان أن يدركها بعقله الطبيعي ولا بفكره الجسدي، كما أنه لا يقدر أن يفهمها فهماً صحيحاً في هذا العالم لأنها تفوق الإدراك الطبيعي)[2].
3. إيجاد معاني وغايات ساذجة لتبرير المعتقدات والشعائر, فالصلب كان للتكفير عن خطيئة آدم وذريته, وكان المصلوب هو الإله؛ ليتحقق به كمال التكفير, والعشاء الرباني ليحل الإله في أجسادهم، وهكذا دواليك من المعاني يخدعون بها عامة الناس،ممن أسلموا عقولهم وأبوا أن يتفكروا في حقيقة ما يقومون به.

وحرصوا على مخاطبة الوجدان بدلاً من مخاطبة العقل, ليسهل عليهم اقتياد الناس إلى ما يريدون, ولهذا تكون أساليبهم الدعوية متجهة أكثر ما تكون إلى هذا, عن طريق تطبيب المرضى, وكفالة الأيتام, وإطعام الجائعين، واستغلال الأزمات والكوارث بشكل عام, ويهتمون (بالمجتمعات النائية والنامية ، والتي يكثر فيها الأمية ، وينتشر فيها الفقر والمرض لاستغلال حاجاتهم والبؤس الذي يعانون منه. الأمر الذي قد يسهّل عليهم بيع دينهم لتحصيل الغذاء والدواء والكسا ء، والعمل الذي يحصّلون عن طريقه أرزاقهم)[3]، ولا يزال حضور المنظمات التنصيرية قوياً في أماكن الكوارث والأزمات, فينصرون الناس تحت غطاء المساعدات الإنسانية، وهذا لا يزال حاضراً في كارثة الشعب السوري الذي مزقته الحروب، وأصبح نهباً وحمى مستباحاً لدول الكفر على اختلاف مللها. فكان من ذلك أن دخل المنصرون تدعمهم الكنائس ومنظمة الصليب الأحمر، واستعطفوا أطفال المسلمين وجهلتهم فأصبحوا يتبعون تعاليم

(1) انظر, أجنحة المكر الثلاثة, للميداني, ص (88-89).
(2) قاموس الكتاب المقدس, لمجموعة من أساتذة اللاهوت, ص (464).
(3)أجنحة المكر الثلاثة, للميداني, ص(92).

الصليب، ويقبّلون الصليب, ويدرسون في مدارس التنصير, ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم, وإنا لله وإنا إليه راجعون[1].

ولذلك لا يوجد من يتبع النصرانية عن تعقل وقناعة، بل كثير منهم يقوده إليها حسن معاملتهم وما قدموه له من مساعدات إنسانية، وأكثر من يتأثر بالمنهج العاطفي دون بصر العقل هم الجهلة،وأصحاب القلوب الضعيفة، واليتامى، والمساكين، والمرضى.

ومن جانب آخر فإن النصرانية تفتقد إلى قواعد صحيحة لتمحيص الأفكار قبل اعتناقها. وإنما هي لفرط ضعفها تتأثر بالأفكار التي حولها فلا تلبث أن تكون جزءاً من دينها،(فتلك العقائد والمراسم والتنظيمات، لم تنشأ بفعل قوة ذاتية مفطورة فيها، بل هي على العكس, تكونت بفضل نوع من التأليف تعاونت عبادات الشرق ــ من يهودية وديانات ذات أسرارـ مع الفكر اليوناني في تزويده بجميع عناصره، وإنها أيضاً لعقائد ومراسم وتنظيمات سوف تتطور, حسب ما يفرضه عليها المستقبل،بنفس الأسلوب التأليفي، .... وكانت هذه العملية (لاشعورية) بالتأكيد ولكنها استمرت في صبر ومثابرة حتى أتى يوم اتضح فيه للعيان تهافت سائر الجماعات الدينية التي امتص منها الإيمان المسيحي والشعائر المسيحية جوهر ما كانت تعتمد عليه من قيم ومفاهيم) [2]، وهذا النص من شارل جنيبير الخبير بالنصرانية وما تحويه من خرافات يوضح جلياً أن المفاهيم الخرافية التي انتقلت إليها دخلتها دون شعور حيث تم تطويع النصرانية لهذه الأفكار بمرور الأيام وتقادم الأعوام.

المطلب الثاني الدافع الديني

عمدت النصرانية إلى تأويلات سطحية لبعض مفاهيمها, بهدف المحافظة على تناسق المعتقدات, وإيجاد تأويلات سائغة للتحريفات, فعلى سبيل المثال, لما اعتقد النصارى قصة الصلب وأوجدوا لها نصوصاً تؤيدها وتأويلاتٍ تدعو الناس إلى تصديقها اخترعوا تبعاً لذلك خرافة الفداء والخطيئة الموروثة واخترعوا لها نصوصاً تثبت صحة ما ذهبوا إليه [3]، ثم بنوا عليها خرافة العشاء الرباني وأوجدوا لها طقوساً

(1)انظر, رئيس مجمع الكنائس الشرقية يشيد بالدور الأردني في مساعدة اللاجئين, صحيفة المدينة الإخبارية (صحيفة إلكترونية)- الأردن, الأربعاء 29 مايو 2013, الرابط https://goo.gl/zrCSNc ، وانظر مقالاً بعنوان (تنصير اللاجئين السوريين) للكاتب : إبراهيم الحقيل صحيفة البيان http://albayan.co.uk/Mobile/Article2.aspx?id=2826

(2) المسيحية, نشأتها وتطورها, شارل جنيبير, ص (164).

(3) انظر, الكنيسة: أسرارها وطقوسها, عادل درويش, ص (607-621).

وروحانياتٍ وصلوات ونصوصاً لتكون مقبولة عند الناس ولتجعلها ملاذاً للأرواح الهاربة من جحيم الدنيا؛ علّها أن تجد في الدين برداً يروي ظمأها, ويسد حاجتها.

ومن الدوافع الدينية أيضاً صرف الناس عن البحث عن حقيقة المعتقدات فإنهم إذا بحثوا عنها فسيؤول بهم الحال إلى ترك الدين، والبحث عن دين آخر يوافق العقل والفطرة ويملك إجابات مقنعة عن الأسئلة المصيرية المتعلقة بالإيمان وأركانه. وهذا ما لا يسر النصرانية. فلذلك تغري الكنيسة أتباعها بالماديات والشهوات، إشغالاً للناس بسفاسف الأمور عن المعالي وبالحياة الدنيا عن الآخرة.

المبحث الثالث

آثار آفة السطحية في التفكير لدى النصارى

المطلب الأول آثار آفة السطحية في التفكير لدى النصارى على المجتمع النصراني

ولها عدة آثار على المجتمع النصراني باختلاف طبقاته, ومنها ما يلي:

- انغماس الناس في الشهوات تحت غطاء الدين, حيث يشربون الخمور في شعيرة من أهم شعائرهم وسر من أسرارهم السبعة ألا وهو العشاء الرباني فيشرب الناس الخمر تحت غطاء شرعي يعد بالثواب الجزيل والأجر العظيم وتغفر له ذنوبه حيث يشترط لمن يحضر التناول أن يعترف بخطاياه على يد رجال الكنيسة وأن يتعهد بعدم العودة إلى الخطايا وأن يتعهد بعمل الفضائل [1] فيا عجباً كيف يفعل ذلك ويشرب الخمر بل يتعبد بشرب الخمر!!.
- أثرت الرهبانية على سلوك الرهبان وأخلاقهم، وذلك أن (خلال الفتوة والمروءة التي كانت تعد فضائل عادت فاستحالت عيوباً ورذائل، وزهد الناس في البشاشة وخفة الروح والصراحة والسماحة والشجاعة والجرأة وهجروها، وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة المنزلية، وعم الكنود والقسوة على الأقارب، فكان الرهبان الذين تفيض قلوبهم حناناً ورحمة، وعيونهم من الدمع، تقسو قلوبهم وتجمد عيونهم على الآباء والأمهات والأولاد، فيخلفون الأمهات ثكالى والأزواج أيامي والأولاد يتامى، عالة يتكففون الناس، ويتوجهون قاصدين الصحراء. همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم في الآخرة لا يبالون ماتوا أو عاشوا ... كانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق والتحدث إليهن ولو كن أمهات وأزواجاً أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية)[2].

(1) انظر, الكنيسة: أسرارها وطقوسها, عادل درويش, ص (300).

(2) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين, الندوي, ص (152).

■ كثرة الجرائم الأخلاقية من الرهبان, حيث استغلوا التائبات اللائي يأتين إلى الكنيسة للاعتراف بالخطيئة فأقاموا صلات جنسية بهن وهذا ثبت عنهم قديماً وحديثاً أما قديماً فنقل ول ديورانت عن أحد مؤرخيهم متكلماً عن القرن الخامس عشر الميلادي فيقول: (وإذا شئت أن تدرك ما في هذه الأديرة من فوضى فعليك أن تقرأ ما كشفت عنه البحوث القضائية من تفاصيل الحالة الداخلية للكثرة الغالبة من الأديرة الكبيرة...ولقد بلغت المساوئ المنتشرة .. درجة أصبحت معها هذه الأديرة مضرب المثل في سوء السمعة في كل مكان تقريباً.أما أديرة الراهبات فقد اختفت فيها حياة الرهبنة عن آخرها...فاستحالت دور العبادة بسبب هذه المساوئ كلها بؤراً للفساد وسوء النظام)[1], ويقول: (لا غرابة وتلك حال أعلى طبقات رجال الدين أن تنتشر الرذيلة وينتشر الشذوذ باختلاف أنواعه بين طوائف الرهبان المنتظمة وبين القساوسة من غير الرهبان وأن يزداد هذا الانتشار يوماً بعد يوم. قصارى القول أن الفضيلة قد فقدت معناها على وجه الأرض..ولكن من الخطأ أن نظن أن فساد رجال الدين كان أسوأ في روم ا منها في غيرها من المدن، ذلك أن لدينا أدلة تثبتها الوثائق على فساد أخلاق القساوسة في كل بلد تقريباً من بلدان شبه الجزيرة الإيطالية..فلا عجب، كما يقول كاتب معاصر والحزن يملأ قلبه : إذا كان نفوذ رجال الدين قد أخذ ينقص تدريجياً , وإذا كان الناس لا يكادون يظهرون أي احترام مهما قل لرجال الدين في كثير من الأقطار , ذلك أن الفساد قد انتشر بينهم إلى حد أصبحنا نسمع معه اقتراحات يبديها البعض بالسماح للقساوسة بالزواج))[2].

وأما حديثاً فقد اضطرت الكنيسة الأرثوذكسية المصرية إلى إلغاء الاعتراف أمام الكهنة العزاب, وقصره على الكهنة المتزوجين الذين يصلحون لأخذ الاعترافات, لأن هناك كهنة غير أمناء ويستغلون نقاط الضعف لدى الرعية[3].

ولم تكن بقية الكنائس أسعد حظاً من الكنيسة المصرية, حيث توجد شبكة كبيرة مِن القساوسة، ورجال الدين بالكنيسة الكاثوليكية في روما في مناصب مختلفة، يُمارِسون العاداتِ الجِنسيةَ الشاذَّة. واعترف الفاتيكان باغتصاب راهبات من قبل قساوسة, في عديد من دول العالم[4].

---

(1) قصة الحضارة, ول ديورانت (52/22).

(2) المرجع نفسه, (53/22).

(3)انظر, (الانحرافات الجنسية للرهبان تجبر البابا على الغاء "جلسات الاعتراف"), صحيفة الموجز, الثلاثاء 21 أبريل 2015, الرابط: http://www.elmogaz.com/node/204203

(4)انظر, مقال بعنوان (فضائح الفاتيكان في الفاحشة واغتصاب الولدان), د. بليل عبدالكريم , موقع الألوكة,بتاريخ1431/5/11هـ,رابط الموضوع:(http://www.alukah.net/culture/0/21018/#ixzz5BSXbthmR).

واستعدت الكنيسة الكاثوليكية الأيرلندية لدفع مائة وعشرة مليون دولار؛ لتسوية قضايا جنسية حصلت على مر عقود أدين فيها أكثر من عشرين رجل دين وراهبة(1).

وحصلت عدة قضايا في أمريكا لإجبار الراهبات بممارسة الجنس مع رجال الدين, ولما رفُع الأمر إلى الإدارة المسؤولة عن شؤون الراهبات بالفاتيكان, اكتفوا بالرد بأن الموضوع محل اهتمام, وأنه لا ينبغي أن تغطي هذه القضية على الأعمال الجيدة التي يقوم بها الرهبان(2).

المطلب الثاني آثار آفة السطحية في التفكير لدى النصارى على المجتمع المسلم

- ظهور القوة الفكرية للإسلام, واحترامه لعقوله أتباعه, وذلك من عدة جوانب:
  - صفاء العقيدة الإسلامية ووضوحها, وتماسك أفكاره ا واتساقها, فلا يجد المرء في صدره حرجاً من تعاليم الإسلام.
  - حرص الإسلام على امتلاك أتباعه لأسباب القوة الفكرية, وذلك من خلال دعوته المستمرة إلى التفكر, والتعقل, والتدبر في آيات الله الكونية والشرعية, حتى يكون المسلم على يقين بما يعتقد, مطمئن القلب إلى ما يؤمن به.
  - أمره للعلماء أن يبذلوا ما عندهم من العلم, وأن يدعوا الناس له, وأن يصبروا على الأذى فيه.

وفي المقابل ذمه لمن كتم العلم ولم يبينه للناس, أو اشترى بهذا العلم ثمناً قليلاً, أو لم يظهر أثر علمه على عمله. فليس في الإسلام أمر يُكتم عن الناس, أو يمنع الناس من التفكير فيه, بل يؤمرون بالعلم والتفكر فيه جميعاً, كل على قدر طاقته, العلماء مأمورون بالبلاغ, والناس مأمورون بسؤالهم والرجوع إليهم والتفكر فيما يأخذونه عنهم. فعن عبد الله بن عمرو أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: ((بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)) (3), وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار)) (4),ويقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة النحل:43]،والآيات في الأمر بالتفكر والتدبر والتعقل كثيرة جداً.

(1)المرجع نفسه.

(2)المرجع نفسه.

(3) سنن ابن ماجه: كتاب المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، حديث(264) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(4) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث(3274).

- معرفة المسلم لتهافت الفكر النصراني, وافتقاره إلى أسس البناء الفكري الصحيح, وعدم التناسق بين مقدماته ونتائجها, فإذا رأى المسلم ذلك أورثه اعتزازاً بدينه, ورسوخاً في إيمانه.
- تأثر البلدان المسلمة النامية بالسيطرة الفكرية الغربية, من خلال بث العلوم والمعارف الإنسانية والاجتماعية مفاهيم سلبية على أبناء الحضارات الشرقية, فصار الشرق بؤرة للاستبداد والتأخر, والأوهام, والكسل, لتحقيق أهداف عديدة, منها:

أ -العمل على إيجاد نخب مصنوعة بهذه الأفكار من العرب والمسلمين، لتشكل منهم قواعد داخلية لهذه الأفكار.

ب -كسب تأييد المواطن الغربي لقهر واستعباد الشعوب المسلمة، وإعطاءها الشرعية لتحريرها وتحضيرها (1).

- إسلام كثير من النصارى على يد دعاة المسلمين, وذلك لما يفتقده النصارى من إجابات مقنعة عن قضاياهم, ولما في صدورهم من شكوك تجاه معتقداتهم، وثغراتٍ في دينهم لا يزيدها تقادم الأيام إلا اتساعاً, فلذلك كان المستجيبون من النصارى لدعاة المسلمين أكثر من غيرهم، لما وجدوه في الإسلام من قوة متوافقة مع الفطرة, وإجابات مقنعة عن كل ما تحتاجه النفس البشرية.

الخاتمة

نتائج البحث :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين. وبعد توفيق الله تعالى وعونه، كانت هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

- من مظاهر السطحية في التفكير لدى النصارى: عقيدة الصلب والفداء، حيث يعتقدون أن العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة، وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا مبتعدٌ عن الله بسبب تلك الخطيئة، ولأجل ذلك أرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم؛ ليخلص العالم ويكفر عنهم خطيئة أبيهم آدم، وصُلب ابن الله لأجل ذلك.
- من مظاهر السطحية في التفكير لدى النصارى: عقيدة العشاء الرباني، وهو يرمز إلى أن المؤمن يأكل جسد المسيح ويشرب دمه, فالخمر يشير إلى دم المسيح الذي سفك من أجل نجاة البشر, والخبز يشير إلى جسده الذي كسِر لهذا الغرض أيضاً.

(1)انظر, الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر, د. طه العلواني, ص (62).

- من مظاهر السطحية في التفكير لدى النصارى: افتقاد دينهم إلى قواعد صحيحة لتمحيص الأفكار قبل اعتناقها، ومحاربتهم لنقد الكتاب المقدس، أو التفكير في أسرار الكنيسة.
- مما نشأ عن العقائد السطحية لدى النصارى واستسلامهم لبعض الخرافات مثل الرهبانية: انغماس الناس في الشهوات تحت غطاء الدين، وانحراف سلوك الرهبان وأخلاقهم، وانتشار الجريمة بينهم.